مجلة كليّة

الدعوة الإسلامية

مجلّة إسلاميّة - ثقافيّة - جامعة - محكمة - تصدر سنويًا

العدد
السادس عشر
1999

1429 من ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم 1999 إفرنجي

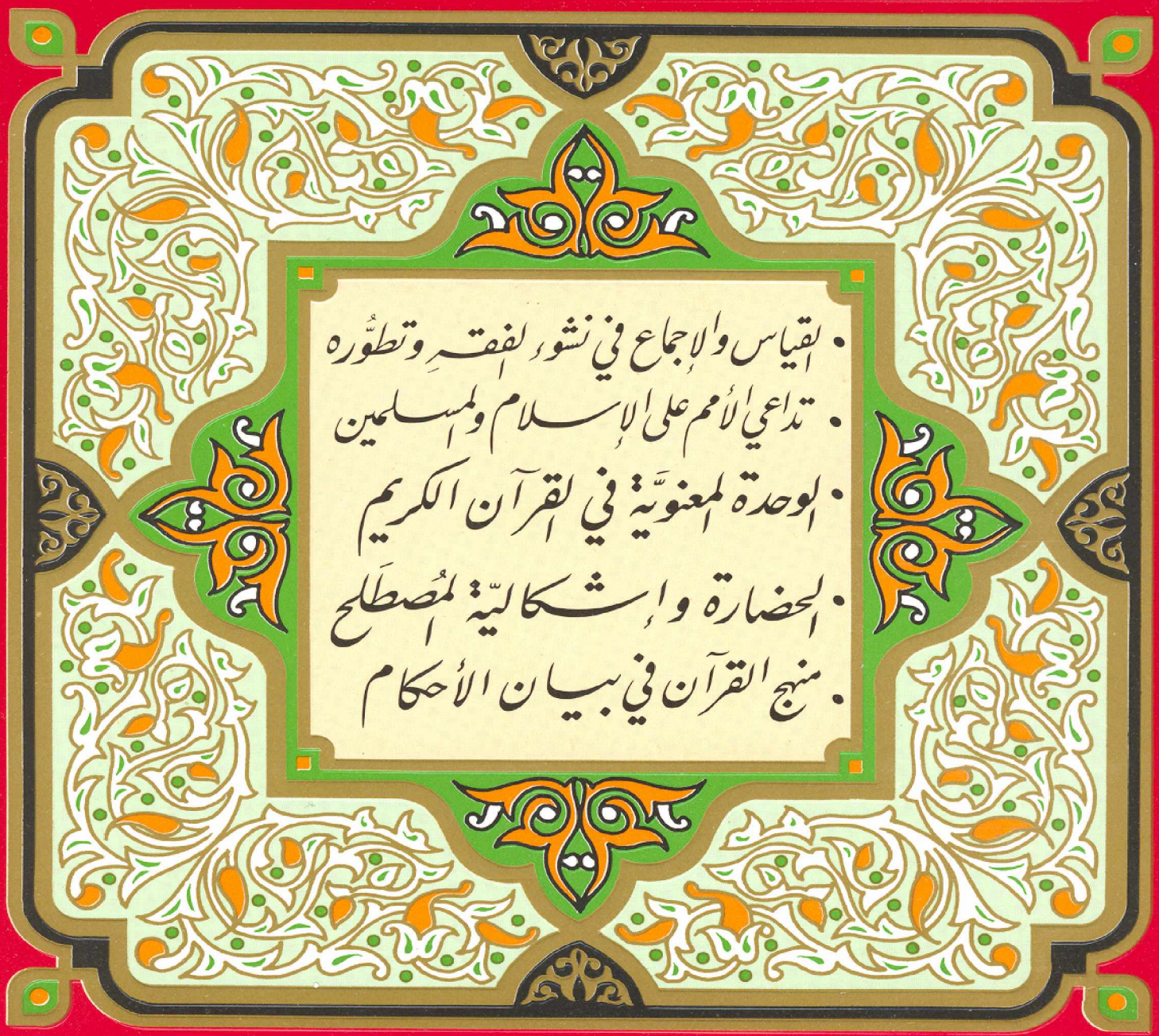

في رحاب حتَّى نصب الفعل بعدها

د. حازم سليمان الحلبي

ألمانيا نورنبرك

شَغَلتْ «حتى» النحاةَ وأتعبت دارسي النحوِ وأخذت من كُتُبِ النحوِ مساحاتٍ ليستْ قليلةً لأنَّها حرفٌ تأتي:

1 ـ جارةً كقولهِ تعالى: ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾[1] ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾[2].

2 ـ عاطفةً بمنزلةِ الواو مثل: قَدِمَ الحُجَّاجُ حَتَّى المشاةُ[3].

3 ـ حرفَ ابتداءٍ تبدأ بعدها الجمل[4].

(1) سورة يوسف، الآية: 35 وسورة المؤمنون، الآية: 25، 54، وسورة الصافات، الآيات: 174 و178 وسورة الذاريات، الآية: 43.

(2) القدر: 5.

(3) مغني اللبيب: 1/ 123 ـ 127.

(4) نفسه: 1/ 128.

أ ـ فقد تدخُلُ على الجملِ الاسميةِ كقولِ الفرزدق:

فَوا عَجَبَا حَتَّى كُلَيبٌ تَسُبُّنِي كَأَن أَبَاهَا نَهشَلٌ أو مُجَاشِعُ[5]

ب ـ وقد تدخلُ على الجملةِ الفعليةِ التي فعلُها مضارعٌ كقوله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾[6] برفع يقول على قراءة نافع[7] (ت169هـ).

حـ ـ وتدخل على الجملةِ الفعليةِ ذاتِ الفعلِ الماضي كقولهِ تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ﴾[8] وقد يكون الموضعُ صالحاً لأقسامِ حتى الثلاثةِ كقولِكَ:

أكلتُ السمكة حَتَّى رأسِها.

الخفضُ على معنى إلى والنصبُ على معنى الواوِ والرفعُ على الابتداءِ[9].

4 ـ ناصبةٌ للفعلِ المضارعِ على رأي الكوفيينَ كقولِهِ تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾[10] فقد نصبت الفعل المضارع بنفسها عندهم[11].

واختُلِفَ في المجرور بـ حَتَّى هل يدخلُ فيما قبلها أوْ لا؟

فذهب المبرِّدُ (ت285هـ) وابن السَّرَّاجِ (ت316هـ) وأبو علي الفارسيُّ (ت377هـ) وأكثر المتأخرين إلى أنّه داخلٌ، وذهب محمد بن مالك (ت

---

(5) يروى (فيا عجبا) مكان (فواعجبا) والبيت من قصيدة هجا بها جريراً. وكليب رهط جرير ونهشل ومجاشع ابنا دارم بن مالك بن حنظلة، ومجاشع قبيلة الفرزدق. ينظر في: شرح ديوان الفرزدق: 518 ومعاني القرآن للفراء: 1/ 138، والمقتضب: 2/ 39 وإعراب القرآن للنحاس: 1/ 305، ومغني اللبيب: 1/ 129، وأوضح المسالك: 4/ 174 وخزانة الأدب: 3/ 169.

(6) سورة البقرة، الآية: 214.

(7) تنظر قراءة نافع في: التيسير: 80 والبحر المحيط: 2/ 140، والنشر في القراءات العشر: 2/ 19، وإتحاف فضلاء البشر: 156 ـ 157.

(8) سورة الأعراف، الآية: 95

(9) مغني اللبيب: 1/ 130.

(10) سورة طه، الآية: 91.

(11) الكافية شرح الرضي: 2/ 240 والجنى الداني: 554.

672هـ) إلى احتمالِ دخولهِ وعدم احتمالهِ فإذا قلتَ: أكرمتُ القومَ حتى زيدٍ فيجوزُ أن يكون زيدٌ مُكرماً انتهى الإكرام بهِ، ويجوز أن يكونَ غيرَ مُكرَمٍ انتهى الإكرامُ عِنْدَهُ[12].

وشغلهم معناها أيضاً فهي تأتي:

أ ـ لانتهاءِ الغاية كقولهِ تَعالى: ﴿قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾.

ب ـ للتعليلِ: نحو: لأَسيرَنَّ حَتَّى أَدخُلَ المدينةَ.

جـ ـ للاستثناءِ بمعنى: (إلاَّ أنْ)[13] كقولِ المُقَنَّعِ الكِنْدِي:

ليسَ العطاءُ مِنَ الفُضُولِ سَمَاحةً حَتَّى تجودَ وما لديكَ قَليلُ[14]

واختَلَفُوا في لَفظِها فالهُذَلي يَقرأُ: عَتَّى حينٍ، وغيره يقرأُ: (حَتَّى حينٍ)[15] لأنَّه هكذا يلفظ[16].

نصبُ الفعل المضارع بعدَهَا:

اختلفَ الكوفيُّونَ والبَصريُّون في ناصبِ الفعل المضارع بَعدَ حَتَّى. فقال الكوفيُّونَ حَتَّى هي الناصبُ للفعلِ[17] وهذا الرأيُ هُوَ الرأيُ السَّمْحُ الذي يُنادي به ويدعُو إليهِ دعاةُ تيسير النحوِ في العصر الحديثِ، كما دعا إليه مِنْ قبلُ ابنُ مضاء القرطبي (ت592هـ) في كتابه الردُّ على النُّحاة[18].

---

(12) الجنى الداني: 545.

(13) مغني اللبيب: 1/ 122 والجَنَى الدَّاني: 554.

(14) الفضول: جمع فضل وهو الزيادة، والسَّماحة: الكَرَمُ. يُنظر في: شرح ديوان الحماسة تأليف أبي زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني المعروف بالخطيب التبريزي (ت502هـ) بولاق ـ 1313هـ، ومغني اللبيب 125، والجنى الداني: 555، وشرح شواهد المغني: 1/ 372.

(15) سورة يوسف، الآية: 35، وسورة المؤمنون، الآية: 45 و54 وسورة الصافات، الآية: 174 و178، وسورة الذاريات، الآية: 43.

(16) تأويل مشكل القرآن: 39 ـ 40 والقراءات القرآنية: 22 ـ 23.

(17) الكافية شرح الرضي: 2/ 240 والجنى الداني: 2/ 240.

(18) سورة ص، الآية: 126.

وقَالَ البصريُّونَ: حَتَّى حرفُ جرٍّ والناصبُ للمضارعِ أن المضمرةُ بعدَها والمصدرُ المسبوكُ مِنْ (أَنْ) وَمَا بَعدَها مجرورٌ بـ حَتَّى والجارُ والمجرورُ متعلقانِ بما قبلَها.

فإذا قُلتَ: لَأُقاتلَنَّ الكافرَ حتى يُؤمِنَ فالكوفيُّونَ يقولونَ في إعرابه: حَتَّى حرف نصبٍ ويؤمن فعل مضارع منصوب بـ حَتَّى وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة وهو إعرابٌ سهلٌ يسيرٌ واضحٌ لا غموضَ فيه.

والبَصريُّونَ يقولونَ: حَتَّى حرفُ غاية وجرٍّ ويؤمن فعل مضارع منصوب بأن المقدَّرة بعد حتى وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، والمصدر المسبوك من (أَنْ) وما بعدَها مجرورٌ بـ حَتَّى، والتقديرُ حتَّى إيمانِهِ، والجارُّ والمجرورُ متعلقانِ بأقاتل، وهل يكونُ إِضمارُ (أَنْ) بعدَ حتَّى واجباً أو جائزاً؟ لهم فيه كلام اختلفوا فيه.

احتجَّ الكوفيون على ما ذهبوا إليه بأنَّ حتَّى تقومُ مقامَ (كي) في قولِنَا: أطع اللّهَ حتَّى تدخلَ الجنةَ. فإنَّ معنى هذا الكلام: أطع اللّهَ كي تدخلَ الجنةَ، أَو تقوم مقامَ: إلى أَنْ كما في قولنا: اذكرِ الله حَتَّى تَطلَعَ الشمسُ. والشيءُ إذا قامَ مقامَ شيءٍ أَدَّى مُؤدَّاهُ فوجب أن تؤديَ حتَّى مُؤَدَّى كي فتنصب المضارعَ بنفسها، وكذلكَ (أَنْ) تنصبه بنفسِها، وكذلِكَ ما يَقومُ مقامَها ويؤدِّي مؤدَّاها وَيَقَع موقعَها[19]. واحتَّج البصريون بأنَّ حَتَّى حرفُ جرٍّ تجرُّ الأسماءَ كقولِهِ تعالى: ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾[20]، وَلِأَنَّ الكوفيين والبصريين اتفقوا على أن حتَّى من عوامِلِ الأسماءِ لم يجزْ أن تكونَ مع ذلكَ من عواملِ الأفعال؛ لأن عواملَ الأسماءِ لا تكون عواملَ في الأفعالِ، كما أَنَّ عواملَ الأفعالِ لا تكونُ عواملَ في الأَسماءِ، فقد تَمَحَّضَت حروفُ الجَرِّ لِجرِّ الأَسماءِ وهيَ لا تعملُ في الأَفعالِ، وتمحَّضت حروف الجزمِ لجزمِ الأفعالِ فهيَ لا تعملُ في الأسماءِ.

وإِنَّما قُلنَا إِنَّ العاملَ في الفعْلِ المضارعِ النصبُ بعدَ حتَّى هو أَنْ المصدريّة

(19) أوضح المسالك: 4/ 175.

(20) القدر: 5.

مضمرةً لنبقيها على حالِها الذي ثبتَ الاتفاقِ بيننا وبينكم، وهي أنَّها تجرُّ الاسم، وذلك لأن المصدرَ المؤوَّلَ من (أَنْ) وما بعدَها مجرور بـ حتَّى[21].

هذا هو ملخصُ الخلافِ في الفعل المنصوبِ بعدَ حتَّى بينَ المدرستينِ النحويتينِ، ولو أَنَّ النحاةَ سلكُوا منهجَ الكوفيين في هذه المسألة لأخذوا الطريق الأيسرَ الأقرب، ولجنَّبوا الدارسينَ هذا التعقيدَ، ولما نَفَرَ الدَّارسونَ من الدرس النحوي الذي وُلِدَ يوم وُلِدَ وسيماً حَتَّى إِذَا مَا تعقَّدَ صارَ الدرسُ النحويُّ في جامعاتنا وحوزاتِنا العلمية، وأينما انعقدَ دَرْسُهُ مشكلةً، فإذا جاءَ موعدُ الدرس النحويِّ انقبضتِ النفوسُ[22].

فلما كانتْ حَتَّى عند البصريينَ حرفَ جرٍ كان حديثُ سيبويه (ت180هـ) في الكتاب عنها على هذا الأساس، وهو واضحٌ لا لبسَ فيه ولا غموض يقول: (هذا بابُ الحروف التي تُضمرُ فيها أنْ. . . . وَحَتَّى، وذلك قولك: حتى تفعلَ ذاكَ فإنما انتصبَ هذا بأنْ، وأنْ ههنا مضمرة، ولو لم تضمر لكان الكلامُ محالاً، لأنَّ اللام وحتَّى إنَّما يعملانِ في الأسماء فيجرانِ، وليستا من الحروفِ التي تضاف إلى الأفعالِ. فإذا أضمرتَ (أَنْ) حَسُنَ الكلامُ لأنَّ (أنْ وتفعلَ) بمنزلة اسم واحد. . . . وإذا قلت: أخشى أن تفعلَ فكأنَّك قلتَ أخشى فِعلكَ»[23].

يقول: انتصب الفعل تفعلَ بـ أَنْ المضمرةِ وجوباً لأن حتَّى، ومثلُها اللامُ من حروفِ الجر ولا تعمل عنده في الأفعالِ، فهي مختصةٌ بالعمل في الأسماءِ. يقولُ: إنَّها لا تضاف إلى الأفعالِ أي لا تنسب إليها أي لا تعمل فيها، فإذا أُضمِرَتْ (أَنْ) صارت هي وما بعدَها مصدراً مؤوَّلاً بمعنى فِعْل، فإذا قلتَ أخشى أنْ تفعلَ بمعنى أخشى فعْلَكَ، لأنَّ (أنْ تَفْعَلَ) معناها: فعلُك وفعلكَ هذا مجرورٌ بـ حتَّى وبذلكَ بَقِيَتْ حتَّى مُختصةً بجرِّ الأسماءِ.

---

(21) أوضح المسالك: 4/ 176.

(22) اقرأ بحوثنا: تفسير النحو إلى عصر ابن مضاء القرطبي المنشور في مجلة اللسان العربي، العدد 41 حزيران 1996، وأثر ابن مضاء القرطبي في حركة تيسير النحو المنشور في مجلة كلية الدعوة الإسلامية ـ طرابلس العدد 13 لسنة 1996، ويسِّرُوا النحو المنشور في مجلة حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر العدد 3 سنة 1997م.

(23) الكتاب: 3/ 5 ـ 6.

وعاد سيبويه للحديث عن حتَّى ونَصبِ الفعلِ بعدَها عَلى النحوِ نفسِهِ فقال: (اعلم أَنَّ حتَّى تنصبُ على وجهين:

فأحدُهُما: أَنْ تجعلَ الدخولَ غايةً لِمسِيرِكَ وَذَلِكَ قولُكَ: سِرتُ حتَّى أدخلَها كأنَّك قُلتَ: سرتُ إلى أنْ أدخلها، فالنَّاصِبُ للفعل ههنا هو الجارُّ للاسم إذا كان غايةً، فالفعلُ إذا كان غايةً نَصْبٌ، والاسمُ إذا كانَ غايةً جَرٌّ. وهذا قَولُ الخليل)[24].

يعني أَنَّ النَّصْبَ بعدَ حتَّى وبأَنْ مُقدَّرة كما ذكر سابقاً يكونُ على وجهين:

الأوَّلُ: إذا كانَ المسيرُ هو الغاية كقولك: سرتُ حتَّى أدخلَ المدينةَ بالنصبِ، أي يستمرُّ السير ولا يَتَوَقَّفُ حتَّى دخولِ المدينةِ، فالناصبُ هنا للفعلِ المضارع هو الحرفُ حَتَّى، بوساطةِ أنْ، والحرفُ حتَّى هذا هو الذي جرَّ الاسمَ عندَمَا كَانَ الاسمُ غايةً مثل قولهِ تَعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾[25] أي إلى مطلع الفجر.

وَنَسَبَ سيبويه القولَ إلى شيخهِ الخليل (ت 175هـ) والمُلاَحَظ أن العبارة التي نقلها سيبويه عن شيخهِ الخليل ليسَ فيها ذكرٌ لـ (أن)، ولعل الخليل كان يقصدُ النصبَ بالحرفِ حَتَّى بنفسِهِ؛ لأنَّ الخليل كان ممَّن يَسَّرَوا النحوَ حَتَّى أقبل الناسُ عليهِ في عهدِهِ.

والوَجْهُ الآخرُ عندَ سيبويه مِن وجوهِ النصب بـ حَتَّى: (أنْ يكونَ السَّيرُ قَد كان والدُّخولُ لم يكنْ، وذَلِكَ إذا جاءَت مِثلَ كَيْ التي فيها إِضمارُ أَنْ وفي معناها، وذلكَ قولُكَ: كَلَّمتُهُ حَتَّى يأمرَ لي بشيء)[26].

أي إن وجهَ النصبِ الثاني بعد حَتَّى إذا كانت حَتَّى بمعنى كي، ويكونُ السيرُ قَد وَقَعَ والدخولُ لم يقعْ بعدُ، أي الفعلُ المتقدمُ على حَتَّى في وقتٍ والفعل المتأخر عنها لم يقعْ بعدُ مثل: كلَّمتُهُ حَتَّى يأمرَ لي بشيءٍ أي كي يأمرَ لي

(24) الكتاب: 3/ 16 ـ 17.

(25) القدر: 5.

(26) الكتاب: 3/ 17.

بشيءٍ، ومثل: اتَّقيتُ الله حتَّى أَدخُلَ الجنة، ومعلومٌ أنَّ تقوى الله وقع في الدنيا ودخول الجنةِ لم يتحقَّقْ ولا يتحقق إلاَّ بعدَ الموتِ وفي الآخرةِ.

ثُمَّ قالَ سيبويه (ت180هـ): (واعلمْ أنَّ حَتَّى يُرفَعُ الفعلُ بعدَهَا على وجهين:

تقولُ: سرتُ حَتَّى أدخلُها تعني أنَّه كانَ دخولٌ متصلٌ بالسيرِ كاتصالِهِ بالفاءِ إذا قلتَ: سِرتُ فأدخُلُها.... فإذا قالَ: حَتَّى أدخلُها فكأنَّه يقول: سرتُ فإذا أنا في حالِ دخولٍ، فالدخول متّصلٌ بالسير كاتصاله بالفاء. فحتى صارت هَهُنا بمنزلة إذا وما أَشبَهَهَا من حروف الابتداءِ لأنَّها لم تجىء على معنى: إلى أن، ولا معنى كي، فخرجت مِنْ حُروفِ النصبِ)[27].

ومعنى كلامهِ أنَّ الفعل بعد حَتَّى يكون مرفوعاً في حالين: الأول: إذا كان الفعلُ المتقدِّمُ عليها متصلاً بالمتأخر عنها، فالسير متصلٌ بالدخولِ في قولِكَ: سرت حَتَّى أدخلُها ـ بالرفع ـ كما تقول: سرتُ فإذا أنافي حالِ دخولٍ. والحرفُ حتَّى هنا حرف ابتداءٍ مثل إذا وإنما والفاءِ والواوِ وسائر حروف الابتداءِ التي لا تعمل في الفعل.

والوجهُ الآخرُ عند سيبويه (ت180هـ): (فإنه يكون السير قد كان وما أشبههُ، ويكونُ الدخولُ وما أشبهه الآنَ فمن ذلك: لقد سرتُ حَتَّى أدخلُها مَا أُمنَعُ، أي: حَتَّى أني الآن أدخلها كيفما شِئتُ، ومثل ذلكَ قولُ الرجلِ: لَقَدْ مَرِض حَتَّى لا يرجونَهُ، والرفعُ هَهُنا في الوجهين جميعاً كالرفعِ في الاسم. قال الفرزدقُ:

فيا عجباً حَتَّى كُلَيبٌ تَسُبُّني كأنَّ أباها نَهشَلٌ أو مُجاشِعُ[28]

فحتَّى ههنا بمنزلة إذا، وإنما هي ههنا كحرفٍ من حروفِ الابتداءِ[29].

معنى ذلك أن الوجه الآخر من وجْهَيْ رفع المضارع بعد حتى فيما إذا كان الفعلُ

---

(27) الكتاب: 3/ 17 ـ 18.

(28) تقدم الشاهد في صدر البحث ص: 1.

(29) الكتاب: 18.

المتقدِّمُ على حَتَّى قَد وقعَ في زمنٍ ماضٍ، والمتأخر عنها في الزمن الحاضر، فهو واقع الآنَ، ومثَّلَ لذلك بقوله: لقد سرتُ حتى أدخلُها ـ بالرفع ـ ما أمنعُ أي حتَّى أني الآن أدخلُها كيفما شئت ومثل: لَقَدْ مَرِضَ حَتَّى لا يَرجُونَهُ، فإنَّ المرضَ متقدِّمٌ وعدم رجائِه في الوقتِ الحاضرِ.

وهذانِ الوجهانِ من وجوه الرَّفعِ أَصلُهما وجهٌ واحدٌ في المعنى وَذَلِكَ أنْ يكونَ ما قبلَ حتَّى موجِبُ لما بعدَها، ولكن ما يوجبُه ما قبْلَها، فقد يكون عقيباً له ومتصلاً به، ويجوز أَلاَّ يكون متصلاً به ولكنه مُوطِّئٌ ومسهِّلٌ له مَتَى اختارَهُ صاحِبُهُ أوقعه، وَقَدْ وُطِّيءَ لهُ ومُكِّنَ مِنهُ مثل: لقد سِرْتُ حَتَّى أَدخلُها ـ بالرفع ـ ما أُمنعُ لأنَّ السَّيرَ مكَّنه أن يدخلها كيف شاء في المستقبل، وَحَتَّى في رفعِ الفِعل بمنزلةِ الواوِ والفاءِ وإذا وإنَّما وسائرِ حروف الابتداءِ التي يُرفعُ الفعلُ بعدَهَا، وسبيلُها في بطلانِ عملها في الفعل كسبيلها في بطلانِ عملها في الاسمِ إذا قيل: رأيتُ القَومَ حتَّى زيداً وجاءني القومُ حتى زيدٌ.

ولو قَارنَّا هذا الموقفَ بموقف الكوفيينَ من نصب الفعل بعدَ حَتَّى لَوَجَدنَا لهم موقِفاً آخر يتناسَبُ معَ منهجهم السَّمح، يتجلَّى ذلكَ في مَعَاني القرآن لِلفَّراءِ عِندَ ذِكرِ قولِهِ تَعالى: ﴿وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾[30].

فقد اختار الفراء النصب في يقول والرفع جائز، وبه قرأ نافع بن أبي نُعَيم المدني[31] (ت169هـ) قارىء المدينة وأحد القُراء السبعة.

واختيارُ الفراءِ النَّصبَ للأسبابِ التالية:

أ ـ لأنَّ الفعل الذي سبقَ حَتَّى مما يتطاولُ، لأَنَّ الزَّلْزَلَة معنَاهَا الخوفُ والخوفُ يطولُ، فمعنَى زُلزِلُوا أُزعِجُوا إزعَاجاً شدِيداً شَبيهاً بالزَّلزلَةِ، بما أصابهم من الهولِ والفزعِ، وتكريرُ الزَّاي واللام إشعارٌ بتكريرِ الإزعاج مَرةً بعد مَرَّةٍ، وَقَدْ أَلمعَ ابنُ جِنِّي في كتابِ الخصائص إلى هذا الباب وأسماه

(30) سورة البقرة، الآية: 214.

(31) تقدَّم تخريج القراءة ص: 1.

قوة اللفظ لقوة المعنى[32]، كما ذكره ابن الأثير في المثل السائر، وخلاصة ما قَرّراهُ أنَّ اللفظ إذا كانَ على وزنٍ ثم نُقِلَ إلى وزنٍ آخر أكثر منه فلا بُدَّ أن يتضمَّنَ مِنَ المعنى أكثرَ مِنَ الأَوَّلِ، فمعنى خَشُنَ دون اخشوشن لما فيه من تكرير عينِ الفعل وزيادَةِ الواوِ. وكذلكَ قولُهم أعشَبَ المكانُ، فَإِذَا أَرادُوا كثرة العشبِ فيه قالوا اعشَوشَبَ[33]، ومثلُه حلا واحلولى، وعَذُب واعذَوذَبَ الماءُ، تدل على زيادة العذوبة.

ب ـ الذي قبلَ حَتَّى فعلٌ في معنى مُضيٍّ وهو مما يتطاولُ وذلكَ بزيادة حروفهِ وتكرارِها فكأَنَّهُ استمرَّ حتى اتصلَ بالفعل الذي بعد حتَّى (يقول).

جـ ـ الذي بعد حتَّى فعلٌ في معنى مُضيٍّ.

فاختيارُ النَّصبِ يحتاج إلى اتصالِ الفعل المتقدم على حَتَّى بالفعل المتأخر عنها، وهذا قد حصلَ بالتَّطَاوُلِ وكثرةِ الحروفِ، ويحتَاج إلى المضيِّ، وقد حَصَلَ أيضاً، لذلكَ اختارَ الفَرَّاءُ النَّصبَ.

فما كانَ الفَرَّاءُ بعيداً عن كتابِ سيبويه (ت180هـ) فقد مات الفراءُ سنة 207هـ وَوُجِدَ كتاب سيبويه تحتَ وسادتِهِ، وكان في حياته لا يستغني عنه ويقرأه خِلسةً[34]. وكان سيبويه قد قرَّرَ أنَّ النَّصبَ يتحقق في قولِكَ: سرتُ حتَّى أدخلَها، إذا جعلتَ الدخولَ غايةً لمسيرِكَ[35]، وكيفَ يكون الدخولُ غايةً إذا لم يتطاولِ المسير حتَّى يصلَ إلى الدخول؟

فمعنى قولهِ تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾[36] بالنصبِ أي زُلزِلوا إلى أن قالَ الرسولُ، والرفعُ على معنى: وَزُلزِلُوا فإذا الرسولُ في حال قولٍ، وعلى الرفع يكونُ قولُ الرسولِ بسببِ الزّلزالِ.

---

(32) الخصائص: 3/ 264.

(33) نفسه.

(34) يُنظر في: مراتب النحويين: 87 ـ 88 وطبقات النحويين واللغويين: 73 وخزانة الأدب: 1/ 179، وسيبويه حياته وكتابه: 71.

(35) الكتاب: 3/ 17.

(36) سورة البقرة، الآية: 214.

وعلى هذا يكون اختيارُ الفرَّاءِ للنَّصبِ لأنَّه أَخَذَ بالتفسيرِ الأَوَّلِ: وزُلْزِلُوا إلى أنْ قالَ الرسولُ..

ولا نحتاج بعدَ هذا إلى أيِّ تخريج آخر حول الفعل المتطاول أو الممتد.

وعلى هذا فإن عملَ حَتَّى عندَ الكوفيين النَّصبُ بنفسِها، وعندَ البصريين يُنصب الفعلُ المضارع بعدها بأنْ مضمرة، وتبقى حتَّى حرف جرٍ للمصدر المؤوَّل من أَنْ وما بعدها.

وقد شرحنا قول سيبويه فيما تقدَّم بما فيه الكفاية فلا يحتمل المقام إلى مزيدٍ، ولم يتطرق الفراءُ إلى تأويل حَتَّى بَكِيَ أو بـ إلى أنْ، لأنَّ حَتَّى عندَهُ وعند أصحابه الكوفيينَ تعملُ بنفسِها، وَقَدْ عبَّرَ الفَرَّاءُ عن الغايةِ بالاستطالةِ فإذا تطاولَ الفعلُ وَصَلَ الغايةَ.

ويقول الفرَّاءُ: (وكانَ أكثرُ النحويينَ ينصبونَ الفعل بعد حَتَّى، وإن كان ماضياً إذا كانَ لغير الأَوَّلِ فيقولونَ: سرتُ حتى يدخلَها زيدٌ)[37].

ذلكَ لأنَّ السيرَ لم يكن سبباً لدخولِ زيدٍ، فلو أرادَ أن يجعلَ السيرَ سبباً لدخولِ زيدٍ رفع. وأمَّا قولُ العرب: سِرنا حَتَّى تطلعُ لنا الشمسُ بزبالة، فهو بمعنىَ سِرْنا فإذا الشمسُ في حالِ طلوعٍ لنا بزبالة. وكذلِكَ معنَى قولِهم إنَّا لجلوسٌ فما نَشعرُ حتَّى يَسقُطُ حجرٌ بينَنَا: إنا لجلوسٌ فإذا حجرٌ في حالِ سُقوطٍ بيننا. وبين اتحاد الفاعل واختلافِهِ في الرفع والنصب عمومٌ وخصوصٌ من وجه، وقد ذكرنا فيما تقدم حُجَّةَ مَنْ نَصبَ وَحُجَّةَ مَن رَفَعَ.

وتعرَّضَ الفرَّاءُ في معاني القرآنِ إلى مسألةٍ أُخرى، وَذَلِكَ فيما إذا دَخَلَتْ لا بعدَ حَتَّى أو بعدَ أنْ، وحُكم الفعل المضارع بعدَها فقال: (فإذا دخلتْ لا اعتدلَ فيه الرفعُ والنصبُ كقولك: إنّ الرجلَ يصادقُكَ حتّى لا يكتُمُكَ سرّاً، ترفع لدخول لا، إذا كانَ المعنى ماضياً والنَّصبُ مَعَ دخولِ لا جائز.

(37) معاني القرآن: 1/ 134.

ومثلُ ما يرفع وينصب إذا دخلتْ لا قولُهُ تعالى: ﴿وَحَسِبُوا أَلاَّ تكونَ فِتْنَةٌ﴾[38] رفعاً ونصباً.

ومثله قوله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَرَوْنَ أَلاَّ يرجعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلاَ يملكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعاً﴾[39] يُنصبانِ وَيرفعانِ، وإذا أُلقيت منه (لا) لم يقولوه إلا نصباً، وذلِكَ أَنَّ (ليسَ) تصلح مكان (لا) فيمن رَفَعَ بـ حَتَّى وفيمن رفع بـ أَنْ ألاَ ترى أَنَّك تقول: إِنَّه ليواخيك حَتَّى ليسَ يكتمُكَ شيئاً.

وتقول في أَنْ: حسبتُ أَنْ لستَ تذهبُ فَتَخَلَّفْتُ، وَكُلَّ موضعٍ حَسُنَتْ فيه ليسَ مكان لا فافعل به هذا، الرفع مَرَّةً والنصبَ مرَّة[40])، النصبُ في مثل هذه الحالِ على عملِ حتَّى بنفسِها بالفعلِ عندَ الفراءِ وأصحابِهِ الكوفيينَ، وعلى عملِ أَنْ المقدرةِ بعدَ حتَّى عند البصريينَ مع وجودِ لا.

والرفع على جعلِ أَنْ مُخففَة مِنْ أَنَّ ويكونُ اسمُها ضميرَ شأنٍ محذوفاً التقديرُ: حَسِبتُ أَنَّهُ لا تَذهَبُ فتأخرتُ بدليل جوازِ وقوع ليسَ موقعَ لا فتقولُ: حَسِبتُ أَنَّهُ لستَ تذهبُ فتأخرتُ.

وفي آية سورة المائدة قَرَأَ بالرفعِ ﴿وَحَسِبُوا أَلاَّ تكونُ فِتْنَةٌ﴾[41] أبو عمرو بن العلاء (ت154هـ)، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي (ت205هـ) وهما بصريان، وحمزةُ بن حبيب الزياتُ (ت156هـ) وعليُّ بن حمزة الكسائي (ت189هـ) وهما كوفيان، على أَنَّ أَنْ مُخفَّفةٌ مِنَ الثقيلة، وقرأَ الباقون بالنَّصب ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾.

فتكون أَنْ هي الحرف الثنائي المصدري الناصب للفعل المضارع.

---

(38) المائدة: 5/ 71 قرأ بالرفع أبو عمرو بن العلاء، وحمزة الزيات، والكسائي، ويعقوب الحضرمي، وقرأ الباقون بالنصب. ينظر في: التيسير: 100 والبحر المحيط: 3/ 533، والنشر: 2/ 255، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: 202

(39) سورة طه، الآية: 89. قَرَأَ الجمهور بالرفع وقرأ أبو حيوة شريح بن زيادٍ الحضرمي (ت203هـ) قراءة شاذة بالنصب. ينظر في: البحر المحيط: 6/ 269.

(40) معاني القرآن للفراء: 1/ 135 ـ 136.

(41) سورة المائدة، الآية: 71

وفي آية سورة (طه) قرأ الجمهورُ بالرفع. ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾[42] وهي قراءة استشهد بها سيبويه (ت180هـ) على أنَّ أنْ فيها مخففةٌ منْ أنَّ، ثُمَّ قال بعدَهَا: (وليست أنِ التي تنصبُ الأفعالَ تقعُ في هذا الموضعِ، لأنَّ ذا موضعُ يقينٍ وإيجاب)[43].

وقرأ أبو حَيْوة (ت123هـ) قراءةً شاذَّة ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ بالنصب على جعل أنْ حرف نصبٍ مصدري ينصب الفعل المضارع يَرجعَ، وعَطَفَ عليه يملِكَ بالنصبِ أيضاً والرُّؤيةُ بَصَرِيَّة على تقدير: أفلا يرونَ عدمَ إرجاعهِ لهم قولاً وعدمَ ملكه لهم ضَرّاً ولا نفعاً؟ أي: أفلا يرونَ بعيونِهم وليسَ بقلوبهم؟ لأنَّ البَصَريَّة تأخذُ مفعولاً واحداً والقلبية تأخذُ مفعولينِ تقولُ: رأيتُ زيداً في السوقِ، فزيدٌ مفعولٌ به، وتقول: رأيتُ زيداً عالماً فنصبت هنا رأى مفعولين لأنّها قلبية ورأى الأولى بالعين والثانية بالقلب، لذلك أخذت الأولى مفعولاً واحداً والثانية مفعولين.

وقد جوَّزَ الفرَّاء النَّصب معَ رفعٍ لا إذا كان حلول ليس محلها ممكناً، ومثَّلَ بما أنشدَه القاسم بن معين قاضي قضاة الكوفة وأحد أحفاد عبد اللّه بن مسعود[44]:

إنِّـي زعـيـمٌ يـا نـويـ ... ـقـةُ إن نـجـوتِ مِـنَ الـرَّواح[45]

وسـلـمـتِ مـن عَـرَضِ الـحُـتُـو ... فِ مِـنَ الـغُـدُوِّ إلـى الـرَّوَاحِ[46]

---

(42) سورة طه، الآية: 89.

(43) الكتاب: 3/ 166.

(44) هو قاضي قضاة الكوفة القاسم بن معين بن عبد الرحمن بن عبد اللّه بن مسعود (رضوان الله عليه) توفي عام 175هـ ترجمته في: الفهرست: 103 وشذرات الذهب: 1/ 286، وتنظر الأبيات في: معاني القرآن للفراء: 1/ 136، والخصائص: 1/ 389، وشرح المفصل لابن يعيش: 7/ 9، وضرائر الشعر: 163، ولسان العرب ـ طلح ـ، وارتشاف الضَّرَب: 3/ 308، وشرح الشواهد للعيني: 2/ 297.

(45) الزواح: الذَّهابُ وأزاحه من موضعهِ نحَّاهُ، والصواب: الرِّزاح وهو شدةُ الضَّعفِ في الإبل حَتَّى تلصق بالأرضِ فلا يكون بها نهوض.

(46) العَرَضُ ما يحدث من أحداث الدهر. والحتوف جمع الحتف وهو الموتُ والرواح: نقيضُ الصباح، وهو اسم للوقتِ من زوال الشمس إلى الليلِ، وقد يكون مصدر قولك راح =

أَنْ تَهبطينَ بلاد قَو م يأكلون مِنَ الطَّلاحِ[47]

فَرَفَعَ تهبطينَ بدليل وجود النونِ، ولَم يقلْ أن تهبطي[48]، وذلك لأَنَّهُ يجوزُ أَنْ يَقُولَ: إِنَّه ليس تهبطينَ، فإذا كانتْ لا تصلح مكانها ليس في (حَتَّى) ولا في (أنْ)، فليسَ إلاَّ النصب، مثل: لا أبرحُ حَتَّى لا أُحكمَ أمركَ إذ لا تستقيم الجملةُ لو قلتَ: لا أَبرحُ حَتَّى ليسَ أُحكمُ أمركَ، ومثلهُ أنْ، مثل قولِكَ أردْتُ أنْ لا تقولَ ذاكَ لا يجوز هنا الرفع[49] إذْ لا تستقيم الجملةُ لو قلتَ: أردتُ أَنَّه ليسَ تقولُ ذاك.

ومثلُ هذا الشاهد الذي أورده الفرَّاءُ على رفعِ الفعلِ تقرآنِ بعد (أَنْ) قول الشاعر:

يا صَاحِبَيَّ فَدَتْ نفسي نفوسَكُما وَحَيثُما كُنتُما لاقَيتُما رَشَدا
إنْ تحملا حاجةً لي خفَّ محملُها وَتَضْمَنَا نِعمةً عِندِي بِهَا وَيَدا
أَنْ تقرآنِ على أسماءَ ويحكما مني السلام وألاّ تشعرا أحدا[50]

ومثله أيضاً قولُ ابن الدمينة:

وَلِي كَبِدٌ مَقْرُوحَةٌ من يَبيعُني بِهَا كَبِداً لَيسَتْ بِذَاتِ قُروحِ
أبى الناسُ ويحَ الناسِ أنْ يشترونها وَمَن يشتري ذا عِلَّةٍ بصحيحِ

= يروح رواحاً وهو نقيض قولك: غدا يغدو غُدُوّاً. والغُدوُّ نقيض الرواح، والغَدْوة من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس ينظر في: الصحاح: ـ روح ـ، وغدا.

(47) الطَّلاح واحده طلحة، وهي شجرة طويلة لها ظلٌ يستظلُّ به الإنسان والإبل، وتأكل منه الإبل يقال إبلٌ طِلاحيةٌ للتي ترعى الطَّلاح. الصِّحاح ـ طلح ـ.

(48) معاني القرآن للفرَّاء: 1/ 136.

(49) نفسه.

(50) الأبيات مجهولة القائل ويروى (تعلما) مكان (تشعرا)، والشاهد في البيت الأخير رفع تقرآن بعد أن.

قال ابن جني (ت392هـ): سألت عنه أبا علي (ت377هـ) رحمه الله فقال: هي مخفَّفة من الثقيلة كأنه قال: أَنَّكُما تقرآنِ.

ينظر في الخصائص: 1/ 390 والمنصف: 1/ 278، والمُفصّل: 315، وشرح المفصل لابن يعيش: 7/ 9 و8/ 143 والبسيط في شرح الكافية: 2/ 1221، ومغني اللبيب: 1/ 30، وخزانة الأدب: 3/ 559.

ومثلهما أيضاً قول الآخر:

إذا كان أمر الناس عند عجوزهم فلا بدَّ أنْ يلقونَ كُلَّ يبابِ[51]

وهكذا كنا في رحاب حَتَّى نستجلي موقف النحاة من بعض جوانبها مُركِّزينَ على نصب الفعل المضارع بعدها، متلمسين موقف البصريين والكوفيين، فوجدنا موقف الكوفيين من خلال (معاني القرآن للفراء (ت207هـ) أيسرَ وأقربَ مأخذاً وأسهلَ على الدارسينَ وأقربَ إلى تيسير النحو.

مصادر البحث

- القرآن الكريم.
- إتحاف فضلاء البشر في قراءة القراء الأربعةَ عشر تأليف أحمد بن محمد الدمياطي (ت1117هـ) المطبعة الميمنية. مصر 1317هـ.
- ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب تأليف أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيّان الأندلسي (ت745هـ) تحقيق الدكتور مصطفى النَّماس مطبعة المدني ط1 1409هـ ـ1989م.
- إعراب القرآن تأليف أبي جعفر أحمد بن محمد النّحاس (ت338هـ) تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد ـ مطبعة العاني ـ بغداد ـ 1397هـ ـ1977م.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك تأليف جمال الدين عبد اللّه بن يوسف بن هشام (ت 761هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ مطبعة السعادة ط5 مصر 1386هـ ـ 1967م.
- البحر المحيط تأليف أبي حيَّان محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي (ت 745هـ) مطبعة السعادة ط1 ـ مصر 1328هـ.
- البسيط في شرح الكافية تأليف ركن الدين الحسن بن محمد بن شرف شاه الإستراباذي (ت715هـ) تحقيق الدكتور حازم سليمان الحلي ـ آلة كاتبة ـ 1404هـ ـ 1983.

(51) الخصائص: 1/ 389 ـ 390 وشرح المفصل لابن يعيش: 7/ 9.

- تأويل مشكل القرآن، تأليف عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت276هـ) تحقيق السيد صقر ط2 ـ دار التراث القاهرة ـ 1393هـ ـ 1973م،
- التيسير في القراءات السبع تأليف أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت444هـ) تحقيق أو توبرنزل ـ مطبعة الدولة ـ إستنبول ـ 1930.
- الجنى الداني في حروف المعاني تأليف: الحسن بن قاسم المرادي (ت749هـ) تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل ـ دار الآفاق الجديدة ـ ط2 بيروت ـ 1403هـ ـ 1983م.
- خِزانة الأدب ولب لباب لسان العرب تأليف عبد القادر بن عمر البغدادي (ت1093هـ). طبعة بولاق ـ القاهرة ـ 1299هـ.
- الخصائص تأليف أبي الفتح عثمان بن جنّي (ت392هـ) تحقيق محمد علي النَّجّار مطبعة دار الكتب المصرية ط1 1371هـ/ 1952م ـ 1376هـ/ 1956م.
- الرد على النحاة تأليف أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء القرطبي (ت592هـ) تحقيق الدكتور شوقي ضيف ـ دار الفكر العربي 1948م.
- سيبويه ـ حياته وكتابه ـ تأليف الدكتورة خديجة عبد الرزاق الحديثي دار الحرية ـ بغداد ـ 1975م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب تأليف عبد الحيّ بن العماد الحنبلي (ت1089هـ) مكتبة القدسي ـ القاهرة ـ 1350هـ.
- شرح ديوان الحماسة تأليف أبي زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني المعروف بالخطيب التبريزي (ت502هـ) ط1 ـ بولاق ـ القاهرة ـ 1313هـ.
- شرح ديوان الفرزدق ـ طبعة عبد الله الصاوي ط1 ـ 1354هـ ـ 1936م.
- شرح الشواهد للعيني (ت855هـ). على حاشية الصبان ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي ب.ت.
- شرح شواهد المغني تأليف جلال الدين السيوطي (ت911هـ) تعليق محمد محمود الشنقيطي تحقيق: أحمد ظافر كوجان ـ نشر لجنة التراث العربي. ب.ت.
- شرح المفصَّل تأليف موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (ت643هـ) دار الطباعة بالمنيرة ـ مصر ـ 1928م ـ 1931م.
- الصِّحاح، تاج اللغة وصحاح العربية تأليف إسماعيل بن حمّاد الجوهري

(ت393هـ)تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار ـ دار العلم للملايين ط4 بيروت 1407هـ 1987م.

- ضرائر الشّعر تأليف أبي الحسن علي بن عصفور الإشبيلي (ت669هـ) تحقيق السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس ط2، بيروت 1402هـ 1982م).
- طبقات النحويين واللغويين تأليف أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي (ت379هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف بمصر ـ القاهرة ـ 1973م.
- الفهرست تأليف محمد بن إسحاق المعروف بابن النديم (ت385هـ) دار المعارف للطباعة والنشر ـ سوسة ـ تونس. ب.ت.
- القراءات القرآنية بين المستشرقين والنحاة تأليف الدكتور حازم سليمان الحلي مطبعة القضاء ـ النجف الأشرف 1407هـ 1987م.
- الكافية شرح الرضي ـ تأليف رضي الدين محمد بن الحسن الإستراباذي (ت686هـ) مصورة بالأوفست على طبعة شركة الصحافة العثمانية ـ 1310هـ.
- كتاب سيبويه تأليف أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ دار العلم ـ القاهرة ـ 1385هـ/ 1966م ـ 1397هـ/ 1977م.
- لسان العرب تأليف محمد بن مُكَرَّم بن منظور الأنصاري (ت711هـ) طبع بولاق 1300هـ.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر تأليف ضياء الدين بن الأثير (ت637هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ مطبعة البابي الحلبي ـ مصر ـ 1939م.
- مجلة حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر العدد 3 لسنة 1418هـ 1997م ميامي ـ النيجر.
- مجلة كيلة الدعوة الإسلامية ـ العدد 13 ـ لسنة 1996م طرابلس ـ ليبيا.
- مجلة اللسان العربي العدد: 41 صفر 1417هـ حزيران 1996م ـ الرباط ـ المغرب.
- مراتب النحويين تأليف عبد الواحد بن علي أبي الطيب اللغوي (ت351هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط2، مطبعة نهضة مصر ـ القاهرة ـ1394هـ 1974م.
- معاني القرآن تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (ت 207هـ) تحقيق محمد علي النَّجّار وجماعته مطابع سجل العرب والهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة 1955 ـ 1980م.

- مغني اللبيب تأليف جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام (ت761هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ دار الشام للتراث ـ بيروت ـ ب.ت.
- المفصَّل في عِلم العربية تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ) ـ ط2 ـ دار الجيل ـ ب.ت.
- المقتضَب صنعة أبي العباس محمد بن يزيد المبرِّد (ت 285هـ) تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة 1386هـ.
- المنصف شرح عثمان بن جنّي (ت392هـ) لكتاب التَّصريف للمازني (ت247هـ) تحقيق) إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ط1 ـ 1373هـ ـ 1954م.
- النشر في القراءات العشر تأليف محمد بن محمد بن الجزري (ت833هـ) مراجعة علي محمد الضَّبَّاع ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ب.ت مصورة عن طبعة القاهرة.